جميلة محمد المحمد
كاتبة وباحثة أدبية

مفهومه وأهميته.. ومبادئه

الحوار مع الطفل..

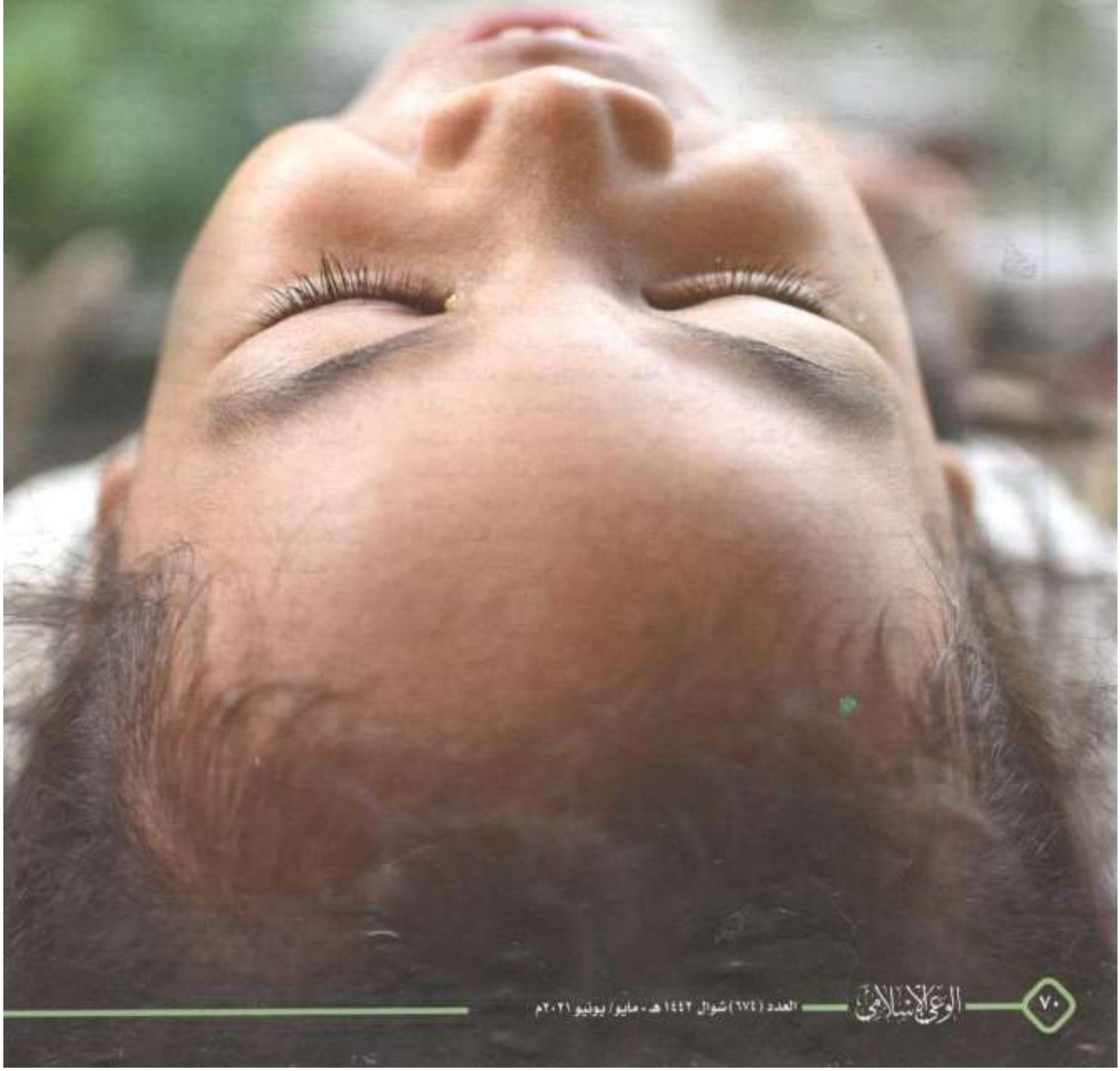

يعد الحوار، بصفة عامة، أسلوبا مهما من الأساليب التي تعتمدها المجتمعات المتحضرة، بهدف تبادل المفاهيم والأفكار والآراء، واكتساب المعارف والخبرات والمهارات، وفتح قنوات الاتصال والتواصل فيما بيننا، بل يعد -بذاته- مهارة من أرقى المهارات التي تتطلبها طبيعة الحياة الإنسانية، وأرضية مناسبة لإيجاد صيغ التقارب بين الأطراف المتحاورة، وتنمية قدراتها على التفكير المشترك. والحوار اصطلاحا يعني التحاور والتجاوب، أو الأخذ والرد في الحديث، لذلك كان لا بد في الحوار من وجود طرفين أو أكثر، يتبادلان الدور حول موضوع معين، وفي أجواء من الألفة والتفاهم، للوصول إلى الأهداف المحددة.

يقول الباحث عبدالعزيز الخضراء في تعريف الحوار: «هو نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر به أحدهما عن الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة. والحوار هو أفضل طريقة للتفاهم بين الأطراف المتباينة التي تربطها مصالح مشتركة، ليتمكن كل طرف من فهم سلوك وتصرف الطرف الآخر». وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المبدأ السامي في مواضع عدة، كقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل:١٢٥).

مفهوم الحوار في الحياة الأسرية

الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية الأولى في تكوين شخصيات الأطفال، وتوسيع آفاق مداركهم، وتزويدهم بالمفاهيم والاتجاهات الأساسية، والمعين الأول الذي يستقون منه قيمهم واتجاهاتهم وعاداتهم، ويطورون من خلالها لغتهم وقدراتهم ومهاراتهم. فإذا كانت هذه مهام الأسرة بشكل عام، فإن من الأولى بها أن تغرس ثقافة الحوار في نفوس أطفالها، وتتخذها مرتكزا أساسيا في تعاملاتها معهم، بوصفها حاجة إنسانية ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها.

ومفهوم الحوار الأسري يدل على التفاعل الإيجابي في محيط الأسرة، عن طريق المناقشة وتبادل الآراء، وبما يوصل إلى حلول مناسبة للمشكلات المحتملة بين أفرادها. وتتجلى أهمية الحوار مع الأطفال بصورة أوضح في ردم الفجوة بينهم وبين الآباء، الفجوة التي اتسعت كثيرا نتيجة غزو بعض المفاهيم الوافدة إلينا في عصر المتغيرات المتسارعة الذي نعيشه، وشعور الأبناء أن الآباء باتوا في انشغال دائم عنهم.

يتضمن هذا الأسلوب التربوي الناجح السماح للأطفال بتقديم أفكارهم وآرائهم، وإتاحة الفرصة لهم للحديث عن مشكلاتهم، وتقبل أسئلتهم، والإجابة عليها إجابات صادقة وبسيطة، وتجنب التهرب منها، أو من خلال إعطائهم إجابات غامضة، خصوصا عندما تتعلق بمسائل الخلق والتكوين والولادة، كي لا تكبح جماح رغباتهم في الوصول إلى المعرفة. والجدير ذكره تأكيد الدراسات العلمية المتخصصة أن الأطفال الأكثر ذكاء، واستقرارا من الناحية العاطفية، والأكثر قدرة على التواصل الاجتماعي، هم الذين يعيشون في أسر تمارس الحوار مع أطفالها بشكل سليم ومنتظم.

إن على الوالدين خاصة تعليمهما أسلوب الحوار وإشاعة ثقافته في سن مبكرة، لأنه عادة مكتسبة يمكن تنميتها بالأساليب السليمة، حتى إنه يمكن محاورة الطفل رضيعا، فالنظرة أو الحركة أو الإيماءة هي حوار بحد ذاتها. وتلعب الأم هنا الدور الأبرز باعتبارها مصدرا لراحة الطفل، ومنبعا للأمان الذي ينشده، وهي التي تملك القدرة أكثر من غيرها على أن تمنحه هذه الحاجة التي تشعره بكينونته.

أهمية الحوار مع الطفل وأهدافه

عن أهمية الحوار مع الطفل، وأهم الأهداف المتوخاة منه، يمكننا القول: تنمية العلاقات الأسرية، وتعزيز الألفة والتواصل والحميمية بين أفرادها.

- تنمية مفاهيم التفاهم والتعايش والتسامح داخل المؤسسة الأسرية.
- تعزيز مبدأ الاحترام المتبادل للفكر الآخر، وإشاعة أجواء التقبل بين الأفراد.
- تعميق ثقة الأطفال بأنفسهم، وتنمية قدراتهم على التعامل الإيجابي ضمن المحيط الاجتماعي.
- إتاحة الفرصة ليعيشوا الخبرات والتجارب المختلفة، ضمن أطر تلائم أفكارهم وقدراتهم.
- تنمية الجوانب المعرفية والإدراكية، وبخاصة قدراتهم على التفكير المنطقي والنقد البناء، والقدرة على المحاكمة.
- تنمية القدرات التعبيرية عن الأفكار والمشاعر.
- تنمية القدرات الإبداعية والابتكارية، وروح المبادرة والمنافسة والاستكشاف.
- إثراء لغة الأطفال والارتقاء بأساليبها، والإسهام في زيادة حصيلتهم من الألفاظ.
- معالجة بعض المشكلات النفسية.